

فرحان العنزي

# من أسرار الصيام

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزيز بن فرحان العنزي

-حفظه الله-

## من أسرار الصيام

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٤]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَلَى التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

أما بعد...

فاتقوا الله يا عباد الله فإن في التقوى نجاتكم يوم يُنصب الصراط، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

**عباد الله:** من كمال الله ﷻ أنه لم يخلق شيئاً عبثاً، ولم يأمر عباده بشيء من التكاليف من غير مقصدٍ وحكمة.

**نعم عباد الله** ما خلق الله ﷻ شيئاً عبثاً، وما أمر الله ﷻ بعبادةٍ أو بتكاليف من دون قصدٍ ولا حكمة، وهذا أمرٌ ظاهرٌ لمن تأمل ذلك في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك عباد الله ونحن نعيش هذه الأجواء الرمضانية، وهذه المناخات الروحانية مع هذه العبادة الجليلة عبادة الصيام التي فرضها الله ﷻ على خلقه وعباده لتُمثّل ركناً من أركان الإسلام ومبانيه العظام، إذا ما جئنا لتأمل في بعض أسرار هذه العبادة.

**نجد أولها:** تحقيق العبودية لله رب العالمين، ذلك أن العبد حينما يستجيب لله ﷻ، ويترك اللذائذ والطيبات، ويتعد عن الشهوات استجابةً لرب الأرض والسموات، فهذا دليلٌ على ما استقر على عرش قلبه من الإيمان.

ومن مراقبة الله ﷻ، وهي درجة الإحسان التي بينها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (١).

**نعم عباد الله:** إنها العبودية المتربعة على عرش قلبك، إنها العبودية التي آمنت بها لله رب العالمين، ولذلك من المهم جدًا أن يستشعر المسلم الصائم وهو مع هذا الصيام هذه العبودية، هذه العبودية التي منعته مع قدرته على ذلك، منعته من الأكل والشرب ومن الشهوة استجابةً لله رب العالمين.

والله ﷻ يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

**الأمر الثاني عباد الله من أسرار هذه العبادة العظيمة:** تذكر نعمة الله ﷻ علينا وعلى الناس أجمعين، ذلك أن النعم إذا ترادفت وتتابع أنست، والإنسان بطبعه يطغى؛ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (٦) ﴿أَن رَّءَاهُ اسْتَفْتَى﴾ [العلق: ٦-٧]، فحينما يمسك الجوع، ويمسك الظم، ويمسك التعب، تتذكر نعمة الله ﷻ عليك.

ولذلك الصيام محطة لاستذكار نعم الله ﷻ علينا، فطبيعة النفس البشرية حينما تسبح في هذه النعم تنسى المنعم ﷻ وتقدس، ولأجل هذا من المهم جدًا أن نستشعر نعم الله ﷻ التي لا تعد ولا تحصى.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠)، ومسلم في صحيحه (٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال ﷺ: ﴿وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقال ﷺ: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرُّ إِذَا مَسَّكُمْ أَصْرٌ فَإِنَّهُ يَبْخَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وقال ﷺ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ٢٠].

فمن المهم جداً ونحن مع هذا الجوع، ومع هذا الظمأ، ومع هذا التعب، ومع هذا النصب أن نتذكر نعمة الله ﷻ، وأن نشكر الله ﷻ ظاهراً وباطناً، ذلك أن الله ﷻ في آية واحدة وعد وتوعد، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ونستصحب إخواننا المسلمين من البؤساء والمسحوقين، ومن الفقراء، ومن المساكين، ومن المشردين، من المهم جداً أن ينبض عرق الإحساس اتجاه إخواننا المؤمنين، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (١).

**نعم عباد الله:** من المهم جداً أن نعلم أمثال هذه الأسرار التي جاء ربُّنا ﷻ بها من خلال عبادة الصيام، فاشكروا الله شكراً كثيراً، واشكروه على ما أنعم عليكم من نعمه السابقة، وآلائه المتتابعة في الليل والنهار منه ﷻ وحده لا شريك له.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠١١)، ومسلم في صحيحه (٢٥٨٦)، واللفظ له من

حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

### والشكر عباد الله يقوم على ثلاثة أركان:

- إقرار القلب واعترافه بأن ما من نعمةٍ إلا وهي من الله.
- ونطق اللسان، وذلك باللهج كثيرًا بشكر الله وحمده.
- وكذلك عمل الجوارح والأركان.

أَفَادَتْكُمْ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا (١)

كذلك عباد الله من أسرار هذه العبادة عبادة الصيام التي قال الله ﷻ بخصوصها وبشأنها: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» (٢).

### في الصيام أسرارٌ عجيبة:

**منها:** القضاء على سلطان الشهوة والغريزة التي تُطَوِّحُ بالإنسان بعيداً، وتُغَرِّدُ به خارج سرب الأمن والأمان حينما ينزلق في المراتع الوخيمة، وحينما يقع في المستنقعات الآسنة التي تُغضب الله رب العالمين.

فأنت مع هذا الصيام أعلنت الانتصار العظيم على النفس الأمّارة بالسوء، وأعلنت الانتصار الكبير على الشيطان الرجيم الذي يوسوس لك ويُمْنِيك، استجبت لله ﷻ، وصبرت على طاعته، وصبرت عن معصية الله، وصبرت على أقدار الله، قهرت شهوتك، وأزحت سلطان هذا الهوى عن قلبك ونفسك، فأعلنت انتصاراً عجيبيًا بمقدورك أن تستمر طوال عمرك، وزمانك

(١) غريب الحديث للخطابي (١ / ٣٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٠٤)، ومسلم في صحيحه (١١٥١)، من حديث

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ودهرک تنعم بهذا الانتصار على الهوى وعلى الشيطان.

- قال ﷺ: ﴿ وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ إِنْ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَمْتَنِيْ ﴾ [يوسف: ٥٣].

- وقال ﷺ: ﴿ إِنْ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦].

عدوان معك على الدوام والاستمرار لا يكلاًن ولا يملأن من إغوائك، وفي شهر رمضان أعلنت الانتصار عليهما في أول جولة.

وهذا يشير إلى أنك قادرٌ على الانتصار على الهوى، وعلى الشيطان، وعلى النفس الأمارة بالسوء طوال عمرك، وطوال دهرك وزمانك.

**نعم عباد الله:** هذا من أسرار الصيام، ولذلك من المهم جداً أن نتذكر، وأن نتدبر، وأن نتفكر في هذه العبادة الجليلة التي ما أراد الله ﷻ منها فقط أن نمتنع عن الأكل والشرب والشهوة، أراد هذا وأراد أعمق من هذا مع هذه المضامين، ومع هذه الأسرار، ومع هذه الحكم التي اشتملت عليها عبادة الصيام.

أسأل الله تعالى أن يفقهنا وإياكم في دينه، وفي سنّة نبيه، وأن يعيننا على أنفسنا، وأن يجعلنا وإياكم من المقبولين، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، ويا فوز المستغفرين أستغفر الله.

## الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وَسَلَّمَ تسليماً مزيداً.

**نعم عباد الله:** ما خلق الله ﷻ شيئاً عبثاً، ولا أمر ﷻ بأمراً ليس فيه حكمة، فشريعة الله ﷻ منزّهة عن العبث؛ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا﴾ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩].

**نعم عباد الله:** هذه شريعتنا وهذا ديننا، فتأملوا في ذلك يا عباد الله، وتجاوزوا الماديات والمحسوسات إلى ما أراد الله ﷻ من هذه الحكم والأسرار، فإن أحوال المسلمين والله تُنكي القلوب، وتُبكي العيون، يمر عليهم رمضان كثيره والحال هي الحال، الحال هي الحال، بل بعضهم يجعل من رمضان نقطة استراحة ليعود إلى التهتك وإلى ما يُغضب الله رب العالمين.

أنت أنت يا عبد الله، وأنت أنت يا أمة الله في رمضان كشفتم وأزلتم عن سُجف هذه الكثافة عن قلوبكم، أزلتموها وأزلتم الغشاوة عن عيونكم وأبصاركم حينما أعلنتم إعلاناً عظيماً أنه باستطاعتكم أن تقوموا الليل طوال دهركم وزمانكم، والدليل على لك: مواظبتكم على صلاة التراويح، وعلى

صلاة القيام مع وجود الأعمال الشاقة، والوظائف، والحقوق المنزلية والزوجية، ومع ذلك استطعتم أن تقوموا الليل، فدلّ هذا على أن من ترك قيام الليل إنما كان يتعلّل بالكسل، وإنما كان يميل إلى الدّعة.

**نعم عباد الله:** في رمضان كلّم تعاهدتم القرآن حفظاً وتلاوة، في رمضان اصطلحتم مع كتاب الله ﷻ وقد هجرتموه طويلاً، فبمقدوركم طوال عمركم ودهركم أن تجعلوا القرآن لكم عادة، وقراءتكم إلى كتاب الله ﷻ على الدوام والاستمرار، تختمون في رمضان المرات، وفي غير رمضان تهجرون القرآن.

- ﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤] يا عبّيد الله.

- ويا أمة الله ﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤-٣٥].

في رمضان أعلنتم الانتصار على سلطان الشهوة، وعلى سلطان الغريزة، وأعلنتم ذلك صراحةً حينما كفتتم البصر عن الحرام، والسمع عن الحرام، وحينما أمسكتم ألسنتكم من أن تلغ في الغيبة، والنميمة، والكذب، وسيء الكلام، لماذا في غير رمضان تعودون إلى ما كنتم عليه؟ هل تريدون أن تكونوا كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَظَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَا﴾ [النحل: ٩٢]؟

**نعم عباد الله:** في رمضان حصّلتم سروراً ولذةً تنسّمتم من خلالها روائح الجنة؛ ألا فلتتقوا الله يا عباد الله، ولتعلموا أن من أعظم أسرار الصيام أن تقف على قنطرة التسليم لله، وأن تسلك هذا الطريق اللاحب الطويل الذي يقود إلى ﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٢-٢٣]، وذلك بالاستمرار على العبادات، وعلى الطاعات.



في رمضان واطبتم أيها الرجال على صلاة الجمعة والجماعة، فلماذا تتأخرون في غير رمضان عن حضور الجماعة؟ لماذا هذا الكسل؟ لماذا هذا التواني؟ فإن من أسرار الصيام أن يجعلك من أهل الصفوف الأولى في بيوت الله رب العالمين، في رمضان سحّت يدك بالعطاء، وبسطتها كل البسط، فلماذا هذا القبض بعد رمضان؟

**عباد الله:** لو أردنا أن نُبحر في أسرار الصيام، وأن نسبح في هذا الفضاء العظيم من أسرار الصيام لطال المقام، ولخرجنا عن المقصود، ولكنها عناوين عريضة، وتطوافةٌ عجلية، وشرارةٌ أقدحها لتأمل جميعاً في هذه العبادة الجليلة التي شرعها الله ﷻ، إن الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة بمقدور غير المسلمين أن يفعلوه، لكن الله ﷻ أراد منا أبعد من ذلك أفلا تتدبرون؟!

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك وحبيبك محمد، صلِّ الله عليه وآله وسلِّم صلاةً وتسليماً يهبان هبوب الرياح، ويتعاقبان تعاقب المساء والصبح، وارض اللهم عن آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، لا سيما الأربعة الخلفاء، الأئمة الحنفاء: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعننا معهم بجودك وكرمك وإحسانك يا رب العالمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين، واحمي حوزة الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر أوطان المسلمين يا رب العالمين، اللهم احمي دولة الإمارات العربية المتحدة من كل سوءٍ ومكروه، اللهم حصّنها وأمّنها يا رب العالمين، اللهم احفظ جميع أوطان المسلمين يا رب العالمين، ووفِّق اللهم ولي أمرنا بتوفيقك، وأيّده بتأييدك،

وألبسه لباس الصحة والعافية، واحفظ اللهم جميع حكام الإمارات لما تُحب وترضى، وخذ بنواصيهم للبر والتقوى إنك على كل شيء قدير.

اللهم اغفر لجميع المسلمين والمسلمات، المؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، وقوموا إلى صلاتكم يرحمني ويرحمكم الله.

عبد الرحمن  
فرحان

الدكتور عبد الرحمن فرحان الجبالي العنزي  
Aziz Farhan AlHeblani AlEnezi